



الأربعاء 22 سبتمبر 2021 03:31 م
وائل فنديل

ليس هناك مجال ولا مناسبة لإدانة المشير حسين طنطاوي الذي رحل أمس الثلاثاء عن 85 عامًا، انطلاقًا من أنه كان قائدًا للفرقة العسكرية التي انهزمت في معركة أمام العدو الصهيوني، في تلك الواقعة الشهيرة بثغرة الدفرسوار أكتوبر1973.. في ذلك، ظلم للرجل وافتئات على حقيقة تقول إن الثغرة وما بعدها كانت نتيجة انحراف بالقرار السياسي، دفع ثمنه العسكريون المحاربون.

من الظلم للرجل، ولمن كانوا معه من مقاتلين حاربوا بشجاعة فانتصروا بالسلاح، ثم انهزموا بالسياسة، تجاهل ما قدّموه من بطولات وبذلوه من دماء، إذ لا يمكن لعاقِلٍ ومنصفٍ أن ينكر على المحاربين، من أصغر مجنّد إلى أكبر ضابط، أنهم خاضوا المعركة بإخلاصٍ وعزيمة، ومنحوا الشعوب العربية وقتًا مستقطعًا لاستعادة الكبرياء والكرامة.

تأسيسًا على ذلك، من المهم استبعاد ملحمة أكتوبر 1973 عندما نكون بصدد تقييم المشير الذي رحل، والذي صعّد به الثورة الشعبية الباسلة في العام 2011 إلى قمة هرم السلطة، فنالها منه البطش والتآمر والغل، فجرت في الفترة التي حكم فيها البلاد أنهاؤ من الدماء البرينة، لا يمكن بحال من الأحوال تبرئته منها، كما حاول أن يفعل ابنه وتلميذه، الذي لم يعرف حربًا عسكرية في حياته، المشير الصغير عبد الفتاح السيسي، وهو ينعيه ويعفيه من مسؤولية دماء شهداء الثورة المصرية، في سلسلة مجازر عاشها المصريون، وعرفوا أدق تفاصيلها، من مذبحه ماسبيرو مرورًا بمذابح العباسية الأولى ثم ستاد بورسعيد وشارع محمد محمود ومجلس الوزراء، وانتهاء بالعباسية الثانية، ليسلم بعدها الراية لتلميذه الذي ارتكب مذبحه القرن، بل والقرون كلها، في ميدان رابعة العدوية أغسطس 2013، وما قبلها وما بعدها.

المشير حسين طنطاوي لا نعلمه لو قلنا إنه مؤسس، عن قصد وتعمّد، حالة الاحتراب المجتمعي التي تطورت على يد تلميذه غير النجيب إلى مزيج هو الأوسع من حضيض الفاشية والمكارثية، بغرض قسمة المصريين إلى شعبين يتبادلان الكراهية ونوازع الإقصاء والمحو: شعب حقنوه بجرعاتٍ مدمّرة من أوهام الوطنية الفاسدة، حتى أصبح يرى أن كل منتقِدٍ لتعوّل المؤسسة العسكرية على الاقتصاد والسياسة هو عميل وخائن وعدو لهذا الوطن .. وشعب آخر آمن بثورة يناصر وصدق الود الزائف الذي اصطاد به الجنرالات الثورة وأوقعوا في شباكهم ثم تناوبوا افتراسها وتكسير عظامها وشرب دمائها، فلما أفاق من كل هذا الزيف وجد نفسه أعزل وحيدًا في مواجهة المدرعة والدبابة وتوحش أهل السلطة ومن حولهم، فقتل من قتل، وهاجر من هاجر، وسجن من سجن.

حسين طنطاوي هو مؤلف النسخة المصرية من الثورة المضادّة على الطريقة الرومانية، حيث كان أول من استدعى سلاح "المواطنين الشرفاء" ودعمه وسلّحه وأطلقه على ثورة يناصر ينهش لحمها ويكسر عظامها، وذلك في موقعة العباسية الأولى، حين أطلق جيوشًا من البلطجية المسلحين على مسيرة الثوار، ثم خرج إعلامه برّد أكاذيب من نوعية أن أهالي حي العباسية (الشرفاء) تصدّوا لمسيرة الثورة التي كانت في طريقها إلى الاعتداء على وزارة الدفاع والاستيلاء عليها .. يا لجرأتهم على الكذب الفاجر في ذلك الوقت.

كانت تلك الموقعة التطبيق الأول لفلسفة تصنيع الحرب الأهلية في مصر، واستعمالها سلاحًا ناجحًا لقتل الثورة المصرية. وهكذا جرت وقائع قتل الثوار في مذبحه ماسبيرو، التي كان يديرها عبد الفتاح السيسي بنفسه من غرفة عمليات داخل مبنى الإذاعة والتلفزيون، وقتما كان مديرًا للمخابرات الحربية، ثم تكرّرت التجربة على نحو أوسع

واشد إجرامًا في مجزرة ملعب بورسعيد التي حصدت 74 شهيدًا من جمهور النادي الاهلي .. ثم ما تلاها من مجازر عسكرية بحق الثوار، حتى تحوّل التحريض على الاحتراب المجتمعي من أداة لإدارة مرحلة انتقالية إلى مبدأ ثابت في فلسفة الحكم العسكري للبلاد، يتم تكريس وتعميقه ورعايته دراميًا وإعلاميًا وثقافيًا، تصحّ بانتظام وقودًا للقطيعة الاجتماعية التي باتت تتخذ شكلًا عنصريًا، وللكرهية ضد كل من يعارض أو ينتقد، فيما تندفع السلطة بكل حماس على طريق التطبيع والشراكة مع العدو الصهيوني.

من الطبيعي أن يحاول السيسي إعفاء طنطاوي مما لاحقه من اتهاماتٍ ثابتةٍ بإراقة الدماء، ليس لأن طنطاوي هو بطريك العسكر الجدد، ومرشدهم الأعلى، وإنما لأن في تبرئته براءة للسيسي نفسه من دماء كثيرة سالت وأرواح أكثر أزهقت، قبل صعوده إلى قمة السلطة وبعده.

المصدر: العربي الجديد

<https://www.ikhwanonline.com/article/249791>